

واقع الحركة المسرحية بالمغرب

عبد الكريم برشيد

اطلالة على المهرجان الثامن عشر لمسرح الهواة

عرفت مدينة وجدة في التاريخ ما بين 24 و 31 من شهر مارس تظاهرات ثقافية وفنية مهمة . وذلك بمناسبة انعقاد المهرجان الثامن عشر لمسرح الهواة . ولقد واكبت العروض لقاءات ثقافية تضمنت ندوات ومناقشات للعرض . فقد نظم فرع اتحاد كتاب المغرب ندوة جمعت بين بنعمارة وبودلال وبرشيد ، وكان موضوعها (المسرح المغربي واقعا ومستقبلا) وقد افتتحت الندوة بإعطاء مدخل تاريخي حول مفهوم المسرح ومولده وتطوره ثم دخوله أخصا في المجتمع العربي . ولقد تولى ذلك برشيد الذي تتبع الحركة المسرحية بالمغرب وذلك من خلال التجارب والفرق والاسماء . أما بنعمارة فقد أثار مجموعة من القضايا التي لها مساس بمشكل التأصيل والبحث عن صيغة مسرحية متميزة . وتولى بودلال الحديث عن قضية التجهيز المادي وتكوين الاطر المسرحية لإيجاد بنية تحتية للمسرح المغربي .

وبمناسبة اليوم العالمي للمسرح دعت جمعية الفانوس الاحمر الى محاضرة بعنوان ((آفاق مسرح الهواة)) وقد ألقاها عبد الكريم برشيد الذي أدار من خلالها أطروحته عن المسرح الاحتفالي ، وموقفه من ظاهرة المسرح الفردي . كما أنه توقف قليلا عند اسم مسرح (الهواة) . فهو يرى أن هذه التسمية لا تعني شيئا لأنها تمس الشكل دون الجوهر ، فهناك حقا فرق بين المسرح الرسمي وهذا الاتجاه ، ولكنه يفرق في نوعية الرؤية ، وفي الزاوية المتميزة ، وفي المضامين الجديدة وفي الأشكال المسرحية المتطورة والمواكبة لهذه المضامين .

أما من حيث العروض المسرحية فإن المستوى كان هذه السنة على جانب كبير من الأهمية إذ أن كل العروض كانت جادة وهادفة . ويلاحظ أن الرمز الأسطوري والتاريخي وجد مكانه أخيرا بين الكتابات . وقد وظف بطريقة سليمة وانطلاقا من أرضيات صلبة . كما أن اللغة العربية أصبحت وسيلة للتبليغ الأساسية في الكتابات الجديدة . وقد كشف المهرجان هذه السنة عن

طاقات عائلة في ميدان الاداء المسرحي . الشيء الذي لم يلاحظ من قبل .
 واذا أردنا اللقاء نظرة سريعة على العروض المسرحية فاننا سنجد أنه
 في اليوم الاول من المهرجان قدمت مسرحية (الارض والانسان) لفرقة المسرح
 البلدى بمدينة وجدة . وهي تنويع جديد لتجربة قديمة (سجل التاريخ)
 تالعرض بنبر مجموعة كبيرة من القضايا بشكل استعراضي يجمع بين الرقص
 والغناء والنكتة والايما ، كل ذلك في اطار مسرحي مكتشف يلغي الستار
 والكواليس وكل المؤثرات الصوتية الخارجية . انها تجربة طلائعية ولكن من
 حيث الشكل فقط . أما من حيث المضمون فهي تكفي بأن تثير القضايا وأن
 نغازلها من بعيد .

والمسرحية من تركيب جماعي واخراج العزاوي بن يحيى
 أما المسرحية الثانية فهي (مرايا الزمن المحزون) وهي تاليف جماعي
 أما الاخراج فقد كان لعبد الرزاق بن عيسى . ولقد ابتدأت المسرحية بداية
 حسنة ولكنها انتهت نهاية سيئة . ابتدأت كمسرحية ، وانتهت كشريط
 سينمائي في المغامرات . لقد استطاع المخرج ان يحرك الممثلين بذكاء وأن
 يوجد جو روما . فالمسرحية تبتدىء مع شهرزاد وهي في ليلتها الثانية بعد
 الالف . وتحكي شهرزاد قصة العبيد في روما وثورتهم ضد الاسياد . وتسير
 الاحداث في تواز بديع يتقابل بين معاناة شهرزاد المهدة بالموت في كل لحظة،
 ومعاناة العبيد الذين يعملون على مراجعة قوانين روما في الملك والعمل ، وتنتهي
 المسرحية بروهم كبير يتلخص في موت شهريار السفاك وموت القيصر ، وهو
 موت فني يعني الجمهور من التحرك والفعل على مستوى الواقع ، ويسكب ماء
 باردا على غضبه الذي فجرته الاحداث في البداية . من هنا تكون المسرحية
 قد فتحت بابا كبيرا للتنفيس . ولقد كان المفروض أن تنتهي الاحداث بدون
 نهاية ، لان النهاية من صنع الكل ، وعلى أرض الواقع ، لا على الخشبات حيث
 الخيال هو الاساس .

أما المسرحية الثالثة فهي (الحرياء) وهي من تاليف واخراج واداء
 الحوري الحسين . وهو ممثل مقتدر عرفه الجمهور المسرحي من خلال مجموعة
 من الاعمال المسرحية الجادة ، وتخذ لتجربته هاته في اطار المسرح الفردي .
 اذ أن الاحداث تدور حول شخصية واحدة حقيقية ، ومجموعة أخرى من
 الشخصيات الوهمية (أم انعيم) - صاحب الحذاء - صاحب البذلة -)
 ولقد توسل حوري من خلال المسرح التحريضي الى اذلال الجمهور كشخصية
 في مسرحيته . لذلك فقد حدثنا عن قصته مع الناس . أولئك الذين يشكلون
 طاقة هائلة ، ولكنها معطلة . لذلك تهتز الكراسي ويتحرك من فوقها ، وتتحول
 المسرحية الى لعبة جماعية يساهم في خلقها الجميع وتعالج المسرحية كل
 القضايا التي تميز العالم الثالث من غياب للديمقراطية وتبعية للقوى الكبرى
 واغتيالات سياسية غامضة ومحاولات لشراء الضمان ومسخها . ولقد استخدم

المؤلف - المخرج مجموعة من الوسائل التعبيرية المختلفة لتجسيد هذه المعاني وذلك مثل نزول بجلة عسكرية من فوق . ومن خلال ادخال الدمى كشخصيات مسرحية . وتبقى المسرحية في النهاية تجربة ناضجة تعتمد على التحريض وعلى اقلال الجمهور ومحاولة هدم كل القواعد الكلاسيكية للفرجة الممتعة .

اما في اليوم الرابع فقد قدمت فرقة المعهد الملكي لتكوين الاطر مسرحية (هاينة) وهي تركيب مسرحي جماعي قدم على هامش المهرجان . وهو ينطلق اساسا من الاسطورة ليعالج قضية الصحراء . وذلك من خلال رمزية ساذجة ومتخلفة ، تصور الصحراء كمروسة سجيبة والمغرب هو العريس المخلص . اما مسرحيه (الوارتون والدار) فقد قدمتها فرقة المسرح الادبي بنصوان وهي من تأليف احمد الدحروني واخراج عبد الواحد السقاط . لقد انطوى الموف من فجرة ذات دلالات موحية حول دار تداعت للسقوط وتعددت نظريات انوره في حقيقه اصلاحها . كما تشير الى حصار داخل الحجارة وذلك من جراء زلزال يصيب الدار ويسد كل المسالك . والاحداث تنتقل من عالم النوامع الى عالم الاحلام ، وقد اضر هذا اندخال حثيرا بالحدث الاساسي اذ كان يعمل على تثبيت الدهن . فالتشخيصات مرسومة بتسل دقيق يحشف عن حفيها النفسية والفكرية ، كما ان موقف المؤلف واضح جدا ، قد تختلف معه ونحت لا تملك الا ان تحترمه . فالمسرحيه عمل جاد ولم تكن تحتاج الا للمسات فنيه بسيطه تمس التقطيع لاعطائها ايقاعا اختر حدة .

اما العمل السادس في المهرجان فهو (المهرج) لمحمد الماغوطي واخراج عبد الله المصباحي . وقد عملت فرقة الدوميديا على تقديم النص كما هو ولم نلتفت الى ان بناءه غير مناسب . فالفصل الاول يتبرا مما يليه ، ويقترب من ان يكون مسرحية مستقلة لا علاقة تربطه بالاحداث الاخرى ، ثم ان الانتقال من عالم المسرح الجوال الى التاريخ تم بطريقة فانتازية لم يكن هناك ما يبررها . فالمسرحية تعتمد على التمثيل داخل التمثيل . ومن خلال هذه الحيلة الفنية كان يمكن للمؤلف ان يستحضر شخصية صقر قريش ، تماما كما فعل هـ ع طيل وهارون الرشيد .

لقد كان المخرج مطالبا بأن يعيد تركيب المسرحية تركيبا جديدا . ولو فعل ذلك لاعطى مسرحية سليمة البناء الدرامي . كما ان النهاية في المسرحية في حاجة الى مراجعة . انها ادانة للحكم العربي ولكنها تسد الباب امام كل تناؤل أو ايمان بالمستقبل . فهي اطلالة على الواقع من زاوية واحدة ، وهي زاوية الحكم العربي ، ولكنها اغفلت الجماعير العربية وهي الاساس . فاذا كان الحكم قد باع صقر قريش فان العرب لم يفعلوا ذلك ، وذلك ما كان يجب على المسرحية ان توضحه . وبالرغم من كل شيء فان فرقة الكوميديا قد أكدت مرة

أخرى حضورها . وذلك بفضل عبد الله المصباحي الذي حاول أن ينعطف بالفرقة انعطافاً جاداً ويجعلها تبحث عن النص المسرحي الناضج . وفي اليوم الأخير من المهرجان جاءت مسرحية (قرقوش الكبير) وهي من تأليف عبد الكريم برشيد وإخراج إبراهيم وردة . وتدور المسرحية داخل جو غريب يفتقد المنطق والتناسق مما يجعلنا نشعر وكأننا أمام مسرحية لنكراكيڤ . فهي مسرحية كاريكاتورية ساخرة تصور الحزن في المدينة كنتيجة لغياب العدالة وحضور الخوف والرعب والقبح . إنها تعرية قاسية لواقع متعفن . فقضايا الناس البسطاء تصبح مجرد موضوع للدرس والبحث عند المفكرين (المحترفين) أما فقرهم فقد أصبح ورقة للمساومة في يد الانتهازيين ، وتصبح حياتهم عند الأطباء التجار مجرد وسائل للاغتناء المادى .

ولأن المسرحية طرحت قضايا حساسة لها مساس بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للإنسان العربي ، فقد كان لا بد أن تثير (كل الفرقوشيين) وأن تعنيهم مبرراً للهجوم عليها ومحاسبة مؤلفها ، وبهذا فانهم واقعياً يعيدون حكاية تيمور الأعرج في المسرحية . فهو رجل مشوه الخلقة مجذور الوجه وأعرج ، ولكنه لا يعرف ذلك ، لأن بطانته الموقرة جعلت من المرأة شيئاً ممنوعاً في المدينة . ولذلك فإن تيمور لم يتشرف أبداً برؤية وجهه ولكنه سمع الكثير عن حسنه واتساق ملامحه ، سمع ذلك من خلال كلام نمرانه ومؤرخيه وعلمائه المنمقطين . وعندما يدخل دكان قرقوش الحلاق ينكر أن يكون هو ذلك المشوه الموجود في إطار المرأة . لقد نطقَت المرأة عندما سكّت كل الناس خوفاً أو تملقاً ، لذلك يأمر تيمور بحبس صاحب المرأة . فالمطلوب من هو محاكمة الواقع المشوه ، لا المرأة التي تعكس الأشياء في أمانة .

أما من حيث الإخراج فقد تمكن إبراهيم وردة من تحريك مجموعة كبيرة من الممثلين وذلك عبر عشرين لوحة تتغير فيها الملابس والأدوار والمناظر والاكسسوار والمؤثرات الصوتية والضوئية ، كما أن ممثلي فرقة المسرح الطلائعي قد تملأوا روح المسرحية الشيء الذي جعلهم يتحركون بطريقة شبه آلية تذكر بالكرافيڤ .

مناظرة حول المسرح المغربي

اتحاد كتاب المغرب

دعا اتحاد كتاب المغرب الى مناظرة حول وضعية المسرح المغربي . ولقد تم ذلك بمدينة الرباط من 14 الى 17 من شهر ديسمبر . ولقد كان هدف الاتحاد يرمي الى (إعادة طرح مسألة المسرح المغربي من منظور يستقطب أهم العناصر المتصلة بوجود المسرح وبأنبعاثه وممارسته كشكل تعبيرى

أساسي في مجال الثقافة وتكوين الرأي العام) فالمناظرة اذن جاءت كخلاصة لايمان الاتحاد بدور المسرح الخطير ، وذلك لانه وسيلة تعبيرية محسوسة ، تملك وسائل تعبيرية متعددة ، فهو لغة حسية منظورة ومسموعة لها مجالات أوسع وأرحب من اللغة اللفظية التي تعتمد على الكتابة ، فهو اذا اقرب للجمهور العريض المتواجد في المسارح المقتلة أو في الساحات العمومية المفتوحة .

ولقد أوضح الاستاذ محمد برادة في مقدمة إحدى الندوات ان (اتحاد كتاب المغرب كان يهدف من وراء تنظيم هذه المناظرة الى فتح المجال أمام رجالات المسرح والمهتمين ليدرسوا وضعية المسرح المغربي ، وما أنجزه خلال السنوات الماضية . وانه ليس من مهمة الاتحاد أن يفرض وجهة نظر في الموضوع دون أخرى أو يساند اتجاهها دون اتجاه) ولقد دارت المناظرة عبر أربع جلسات تضمنت مواضيع أربعة . ففي اليوم الاول كان موضوع الندوة (تقييم الكتابة المسرحية) وقد شارك فيها أحمد الطيب العليج وأحمد العراقي وعبد الله شقرون وأحمد بدري وقد قام بمهمة التنسيق الاستاذ محمد برادة وقد كشفت الندوة عن اتجاهين في الكتابة المسرحية . اتجاه كلاسيكي عاش على موائد المقتنيات والمغريات واتجاه حديث ظهر مع بداية السبعينات وهو الذي وقع الولادة الحقيقية للنص المغربي .

اما الندوة الثانية فقد تناولت موضوع (التقنيات المسرحية بالمغرب) وقد استدعي لها مجموعة من المخرجين الذين تتباين طرقهم في ميدان البحث والعمل وذلك بحسب اتجاهاتهم وانتماءاتهم المدرسية . ولقد شارك في هذه الندوة كل من عبد اللطيف الدشراوي وفريد بنمبارك واعتذر كل من الطيب الصديقي وعبد الصمد دينية ومحمد تيمد ، وقد أدار النقاش محمد الواكيرة . أما في اليوم الثالث فقد كانت الندوة تحت عنوان (النقد المسرحي) والمعروف أن النقد الجاد شرط أساسي لنجاح كل حركة مسرحية . ولقد شارك في الندوة كل من (محمد الأشهب) وخالد الجامعي وعبد الله المنصوري) وأدار النقاش الاستاذ أحمد الياجوري . والملاحظ أن الجمهور وهو أساس كل ازدهار مسرحي قد أغفلته المناظرة ، إذ لم تخصص له جلسة خاصة . ولكن الندوة الرابعة والتي كانت تحت عنوان (الآفاق الممكنة أمام المسرح المغربي) قد أعطته أهمية خاصة ، وركزت عليه ، إذ جعلته شرطا أساسيا في كل تطور مسرحي . وقد شارك في هذه الندوة الأخيرة كل من (عزيز السغروشني وعبد القادر البدوي وعبد الكريم برشيد وربيع مبارك) وقد أشار السغروشني الى تجنب الارتجال في التخطيطات المسرحية المقبلة والى الاعتماد على التخطيط المستقبلي البعيد المدى . كما دعا الى الاهتمام بالجمهور . اما عبد القادر البدوي فقد ناقش الفرق الشكلي بين ما يسمى

(مسرح الاحتراف) و (مسرح الهواة) ولقد استخلص من مقدماته انه ليس هناك احتراف بالمعنى الصحيح للكلمة ، كما أنه ايضا ، ليس هناك هواية . عبد الكريم برشيد تحدث عن كل الاشياء التي تعنيها كلمة المسرح والتي تشكل في مجموعها هذا النوع من النشاط الفني والفكرى . لقد تحدث عن المسرح كفن وعنه كبنائية لها معمار معين وهو معمار موروث ومتجاوز ، اذ انه يخلق الابداع ويمنع من التواصل ويساهم في تكريس الاليهام المسرحي ، اما عن الجمهور فقد دعا الى ادخال المسرح في نسيج الحياة اليومية للمجتمع ، اذ يصبح في المدرسة والجامعة كمواود دراسية ، وفي الاوراش والمعامل كنشاط فني مواز للعمل اليدوى ، أما ربيع مبارك فقد تناول بالدرس مسألة التأليف والاقتباس وراى انه بالامكان تعايشهما . وقد أدار النقاش الاستاذ محمد برادة . وحتى لا تكون المناظرة مجرد كلام تجريدى وتنظيرات عائمة فقد قام باستدعاء فرقة المسرح الطلائعي حيث قدمت بمسرح محمد الخامس مسرحية (عطيل والخيل والبارود) وهي من تأليف عبد الكريم برشيد وأخراج ابراهيم ورادة .

ويمكن أن نقول أخيرا عن المناظرة بانها كانت بادرة طيبة من اتحاد كتاب المغرب الذى استدعى كل التيارات المتواجدة في الساحة المسرحية وفتح لها مجال الحوار الحر .